

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ □ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ (٨))
عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ الْأَنْعَمِيَّةِ قَالَتْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ:

«بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَخَيَّلَ وَاخْتَالَ وَنَسِيَ الْكَبِيرَ الْمُتَعَالِ بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ تَجَبَّرَ وَاعْتَدَى وَنَسِيَ الْجَبَّارَ الْأَعْلَى بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ سَهَا وَلَهَا وَنَسِيَ الْمَقَابِرَ وَالْبَلَى بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ عَتَا وَطَعَى وَنَسِيَ الْمُبْتَدَأَ وَالْمُنْتَهَى...»

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

يَعِيشُ بَنِي آدَمَ وَيَمُوتُ مَنْفِيًّا فِي مَكَانٍ، وَوَقْتُ، وَعُمُرٌ مُّحَدَّدٌ. إِنَّ تَمَاسُكَهُ بِالْحَيَاةِ الَّتِي يَدَاخِلُهُ قُوَى لِدْرَجَةٍ، يَعْيشُ وَكَأَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ أَبَدًا، رَغْمَ أَنَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ حَيَاتَهُ سَتَنْتَهِي بِالْمَوْتِ يَوْمًا مَا، حَيْثُ إِنَّ الْمَوْتَ هُوَ أَمْرٌ وَاقِعِيٌّ فِي الْحَيَاةِ وَهَازِمٌ اللَّذَاتِ. الْمَوْتُ هُوَ الطَّرِيقُ إِلَى الْأَخْرَةِ حَيْثُ إِنَّهُ لَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَوْتُ بَعْدَهَا. وَلِهَذَا السَّبَبُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثَرُوا ذِكْرَ هَازِمِ اللَّذَاتِ.»
إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

فَالْمَوْءُومُ الْوَاعِي؛ هُوَ مَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَدْخِرَ ثَمَرَاتِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مِنَ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ إِلَى الْأَخْرَةِ الْأَبَدِيَّةِ. هُوَ لَا يَمُوتُ هُمُ الْأَشْخَاصُ يُمَكِّنُهُمُ التَّفَكُّرُ وَالتَّدَبُّرُ، وَلَدَيْهِمْ بَصِيرَةٌ وَفِرَاسَةٌ. تُشِيرُ كَلِمَةُ "بَصِيرَةٌ" إِلَى الْقُدْرَةِ عَلَى رُؤْيَةِ حَقَائِقِ الْأُمُورِ وَالنَّظَرِ فِي الْوَاقِعِ. بَيْنَمَا تُشِيرُ كَلِمَةُ "الْعِبْرَةُ" إِلَى أَنْ تَكُونَ عَلَى دِرَاطَةٍ وَجَكَمَةٍ مِنْ خِلَالِ النَّظَرِ إِلَى مَا يَقَعُ مِنَ الْأَحْدَاثِ. قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: "مَا أَكْثَرَ الْعَبْرَ وَأَقَلَّ الْأَعْتِبَارَ". وَكَذَلِكَ سَعْدِي الشَّيْرَازِيُّ عَلَى أَهْمِيَّةِ اخْتِزَانِ الدَّرْسِ وَالْعِبْرَةِ قَائِلًا: «عِنْدَمَا يَرَى طَائِرٌ طَائِرًا آخَرَ مُحَاصِرًا فَإِنَّهُ لَا يَقْتَرِبُ إِلَى الْحَبَّةِ. خُذِ الْعِبْرَةَ مِنْ أَخْطَاءِ الْآخَرِينَ حَتَّى لَا يَأْخُذُوا مِنْكَ الْعِبْرَةَ» نَحْنُ نَرُضَى بِالْمَصَائِبِ وَالْبَلَاءِ وَالْمَشَاكِلِ الَّتِي تَحْدُثُ لَنَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى (إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ). وَهَذَا يُعَيِّرُ أَيْضًا عَنْ السُّلُوكِ الَّذِي نَتَّخِذُهُ نَجَاهَ الْحَيَاةِ. وَهَذَا إِشَارَةٌ إِلَى ضَرُورَةِ الرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ بَيْنَمَا نَحْنُ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ، وَتَصْحِيحِ مَسَارِنَا، وَطَلَبِ الْمَعْفُورَةِ.

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَفْاضِلُ،

نَسْأَلُ كُلَّ الْبَشَرِيَّةِ بِدُونِ تَفْرِيقَةٍ؛ أَلَا تُؤَدِّبُنَا الْوَحْشِيَّةُ فِي فِلَسْطِينَ، وَقَتْلُ الْأَطْفَالِ، وَالنِّسَاءِ، وَالشُّبُوحِ؟ أَلَا تُسْعِلُ النَّارَ فِي قُلُوبِنَا؟ أَلَنْ

يَكُونُ الزَّلْزَالُ الَّذِي حَدَثَ فِي ثُرْكِيَا مُنْذُ فَنْرَةٍ، وَقُضِيَ عَلَى عَشْرَاتِ آلَافٍ مِنَ الْأَرْوَاحِ عِبْرَةً لَنَا؟ أَلَنْ تَقُولُ لَنَا الْحَرْبُ الَّتِي فِي سُورِيَا مُنْذُ سَنَوَاتٍ، وَمِنَاتِ آلَافٍ مِنَ الْقَتْلِ، وَالْمَلَائِيْنَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أَيَّ شَيْءٍ؟ أَلَا يَهْمُنَا أَبَدًا مَشَاهِدُ الْأَطْفَالِ الَّذِينَ قُتِلُوا عَلَى الشَّوْاطِي؟ هَلْ الْإِبَادَةُ الْجَمَاعِيَّةُ الَّتِي حَدَثَتْ فِي ثُرْكِسْتَانِ الشَّرْقِيَّةِ حَيْثُ كَانَ الْعَالَمُ أَعْمَى وَأَصَمًّا لَنْ تَجْعَلْنَا نَسَاءَلًا عَنْ إِنْسَانِيَّتِنَا؟ هَلْ سَنَنْسَى مَا حَدَثَ فِي لِيْبِيَا وَالْمَغْرِبِ وَأَرَاكَانَ، وَتَقُولُ حَدَثَ وَانْتَهَى الْأَمْرُ؟ وَبَيَاتِ الْقُرْآنِ أَلَا نَسْأَلُ (فَإَيْنَ تَذْهَبُونَ). أَلَنْ نَسْأَلُ "أَيْنَ نَحْنُ مِنَ الْإِنْسَانِيَّةِ عِنْدَمَا كَانَ هُنَاكَ الْكَثِيرُ مِنَ الْمَوْتِ وَالدمَارِ"؟
إِخْوَتِي الْأَعْرَاءُ،

إِذَا لَمْ تُسَاعِدْنَا كُلَّ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ عَلَى اللُّجُوءِ إِلَى اللَّهِ، وَالِإِتْعَادِ عَنْ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ، وَأَنْ نَعُودَ لَوْعِينَا، بِاخْتِصَارٍ إِذَا لَمْ نَأْخُذِ الْعِبْرَةَ مِنْ هَذَا الْفِعْلِ فَمَادَا سَيَحْدُثُ أَكْثَرُ؟ مَا الَّذِي يَجِبُ أَنْ نُوَاجِهَهُ أَكْثَرَ لِنَأْخُذِ الْعِبْرَةَ؟ كَمَا قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: (أَوْلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ □ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ لَكَافِرُونَ) وَهَذِهِ الْآيَةُ تُعَيِّرُ عَنْ حَالِ الْعَبْدِ الَّذِي لَمْ يَأْخُذِ الْعِبْرَةَ وَوَقَعَ فِي الْعَقْلَةِ. يَصِفُ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَالَ هَذَا الْعَبْدِ قَائِلًا: «...بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ سَهَا وَلَهَا وَنَسِيَ الْمَقَابِرَ وَالْبَلَى بِئْسَ الْعَبْدُ عَبْدٌ عَتَا وَطَعَى وَنَسِيَ الْمُبْتَدَأَ وَالْمُنْتَهَى...»

أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْكِرَامُ،

نَحْنُ لَسْنَا أَوْلَ وَلَا آخِرَ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ يَعْيشُونَ فِي أَوْقَاتٍ صَعْبَةٍ. وَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَقُودَنَا الْأَحْدَاثَ الْجَارِيَةَ إِلَى الْيَأْسِ أَبَدًا. حَتَّى لَوْ كُنَّا عِبَادًا نَذُنَّبُ وَتَخَطُّ، لَا نَنْسَى أَنَّ لَنَا رَبًّا يُوصِينَا أَلَّا نَيَّاسَ مِنْ رَحْمَتِهِ. سَوْفَ نَسْتَمِرُّ فِي الْوَفَاءِ بِمَسْئُورِيَّاتِنَا بِالصَّبْرِ، وَنَسْتَنْظِرُ مِنَ الذُّنُوبِ عِنْدَ أَبْوَابِ التَّوْبَةِ، وَنَسْتَمِرُّ فِي إِدْرَاكِ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ. نَسْأَلُ اللَّهَ أَنْ لَا يَنْسِينَا أَنَا عِبَادٌ وَإِنَّا رَاجِعُونَ حَتْمًا إِلَيْهِ لِنَحَاسِبَ. وَأَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ. اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ الْوَاعِينَ الَّذِينَ يَنْظُرُونَ لِلْحَيَاةِ بِالْعِبْرَةِ، وَأَنْ تَكُونَ عَلَى بَصِيرَةٍ. آمِينَ.



أَيُّهَا الْإِخْوَةُ الْأَفْاضِلُ،

نَسْأَلُ كُلَّ الْبَشَرِيَّةِ بِدُونِ تَفْرِيقَةٍ؛ أَلَا تُؤَدِّبُنَا الْوَحْشِيَّةُ فِي فِلَسْطِينَ، وَقَتْلُ الْأَطْفَالِ، وَالنِّسَاءِ، وَالشُّبُوحِ؟ أَلَا تُسْعِلُ النَّارَ فِي قُلُوبِنَا؟ أَلَنْ